المنهج الإسلامي في التعامل مع الأوبئة

THE ISLAMIC CURRICULUM AND EPIDEMICS

د. توفيق العمراني*

د. يونس ريحان**

ABSTRACT:

The world has recently be now some expected and unexpected crises and disaster that have in fact had a negative impact on people's lives at different levels. Corona virus is one of the latter, up to now scientists have not found any vaccine against this deadly virus. It is one of the most dangerous and infectious diseases the world has witnessed so far. Yet the questions search of us might as be are: What role can Islamic curriculum play in stopping this pandemic from spreading? Does this curriculum's texts contain any legislation we can adopt to deal unith such novel epidemics? To answer all the above as beed questions, I have conducted are entitled {The Islamic curriculum and epidemics}. The latter aims at shedding light on the most crucial Islamic legislation the art can be introduced to easily handle pandemics that threaten people's lives.

KEYWORDS: Islamic Law, Epidemics and Pandemics, The Islamic Approach, Corona.

الكلمات المفتاحية: الشريعة الإسلامية، الأوبئة والجوائح، المنهج الإسلامي، الكورونا.

* الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين بالدار البيضاء/ المملكة المغربية

** الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين بالدار البيضاء/ المملكة المغربية

ملخص البحث

شهد العالم الحديث مجموعة من الكوارث والأزمات التي كانت متوقعة أو غير متوقعة أثرت سلبا عليه في جميع المجالات، ومن أخطر الأزمات التي لم تكن متوقعة عند عموم الأفراد والجماعات وباء كورونا الذي أوقف الحركة وشل الاقتصادات، وقد أظهر هذا الوباء عجز الجميعأمامه، فعلى الرغم مما شهده العالم قديما من مجموعة من الأوبئة التي كانت محدودة الجغرافيا رغم خطورتها؛ إلا أن فيروسا كورونا كان أعم انتشارا في جميع الكرة الأرضية، لكن التساؤل المطروح مادور التشريع الإسلامي في الحد من انتشار هذا الوباء؟ هل تضمنت نصوصه تشريعات للتعامل مع مثل هذه الأوبئة المستجدة؟

من أجل كل هذا وغيره جاء بحثي الموسوم ب "المنهج الإسلامي في التعامل مع الأوبئة" قصد تجلية أهم التشريعات الإسلامية في التعامل مع الأوبئة والجوائح التي تعصف بصحة الأفراد والجماعات.

شهد العالم الحديث مجموعة من الكوارث والأزمات التي كانت متوقعة أو غير متوقعة أثرت سلبا عليه في جميع المجالات، ومن أخطر الأزمات التي لم تكن متوقعة عند عموم الأفراد والجماعات وباء كورونا الذي أوقف الحركة وشل الاقتصادات، وقد أظهر هذا الوباء عجز الجميعأمامه، فعلى الرغم مما شهده العالم قديما من مجموعة من الأوبئة التي كانت محدودة الجغرافيا رغم خطورتها؛ إلا أن فيروسا كورونا كان أعم انتشارا في جميع الكرة الأرضية، لكن التساؤل المطروح مادور التشريع الإسلامي في الحد من انتشار هذا الوباء؟ هل تضمنت نصوصه تشريعات للتعامل مع مثل هذه الأوبئة المستجدة؟

من أجل كل هذا وغيره جاء بحثي الموسوم ب "المنهج الإسلامي في التعامل مع الأوبئة" قصد تجلية أهم التشريعات الإسلامية في التعامل مع الأوبئة والجوائح التي تعصف بصحة الأفراد والجماعات.

إشكالية البحث

في إطار خصائص الشريعة الإسلامية التي تجعل منها صالحة لكل زمان ومكان، وفي إطار مسايرة مستجدات العصر زمن الأوبئة والجوائح، إلى أي حد يمكن القول إن التشريع

الإسلامي لم يكن محايدا أو سلبي الموقف اتجاه الأوبئة عموما؟ هل تضمن التشريع الإسلامي مايمكن أن يكون علاجا أو وقاية من الأوبئة والأمراض؟ ألم تكن الشريعة الإسلامية سباقة من خلال أحكامها إلى بعض قواعد الوقاية أو الحد من انتشار الأوبئة؟

أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى:

1 إبراز مدى إسهام الشريعة الإسلامية بمجموعة من التشريعات التي تقي الناس من انتشار الأوبئة.

2 التعرف على مدى مسايرة الشريعة الإسلامية من خلال تشريعاتها لكل النوائب والمستجدات التي تعرض للإنسانية عموما.

3 الرد الموضوعي على بعض الدعاوى المغرضة التي تجعل تشريعات الدين الإسلامي من أخبار السابقين ولا علاقة لها بواقع الناس اليوم.

المنهج المتبع في البحث

سنعتمد في بحثنا هذا المنهج الوصفي التحليلي من خلال إيراد أهم التشريعات الإسلامية التي سنها الإسلام حماية للأفراد والجماعات، ثم نقوم بتحليلها من خلال بيان علاقتها على وجه الخصوص بوباء كورونا، مع التأكيد على الأسبقية التشريعية في الإسلام زمن الأوبئة.

خطة البحث:

مقدمة البحث

المحور الأول: الأوبئة: المفهوم مع لمحة تاريخية عن بعضها بالعالم الإسلامي.

المحور الثاني: المقاربة الإسلامية في التعامل مع الأوبئة

أهم الخلاصات والاستنتاجات.

المحور الأول: الأوبئة: المفهوم مع لمحة تاريخية عن بعضها بالعالم الإسلامي؛

أولا: دراسة مفهومية لمصطلحات: الأوبئة، الجائحة، الطاعون؛

1. مفهوم الأوبئة

الأوبئة لغة: جمع مفردهاوباء إذا كان ممدودا, ويجمع أيضا على أوباء إذا كان مقصورا وعليه يقال وبأ (أوباء), و وباء (أوبئة،) وقد عرف بأنه الطاعون, وقيل هو كل مرض عام, وقال ابن النفيس: الوباء فساد يعرض لجوهر الهواء لأسباب سماوية أو أرضية [1]

انطلاقا من التعاريف اللغوية السابقة للوباء؛ هناك بعض الخصوصية لكل تعريف، إذ من عرفه بالطاعون جعل الوباء بمفهومه العام مقصورا على نوع من أنواعه, والذي عرفه بأنه فساد يعرض لجوهر الهواء لأسباب سماوية أو أرضية قصره على الفساد الذي يصيب الهواء, ولعل في هذا تخصيص بأنواع دون أخرى, أما تعريفه بكونه كل مرض عام فهذا التعريف جعل الفشو والانتشار ضابطا من ضوابط الوبائية.

الأوبئة اصطلاحا:عرفت مدونة الصحة العالمية الوبائية بكونه: "حالة انتشار لمرض معين حيث يكون عدد حالات الإصابة أكبر مما هو متوقع في مجتمع محدد، أو مساحة جغرافية معينة، أو موسم أو مدة زمنية"[2]

انطلاقا من تعريف منظمة الصحة العالمية؛ فإن ضوابط الوبائية كالآتي:

- **الانتشار:** إذ لابد أن يكون المرض منتشرا في نطاق معين حتى يوصف بالوبائية, وعليه لو كان محدودا بأحد الأفراد فلا يعد وباء.
- **ارتفاع حالات الإصابة:** لعل هذا من أهم ضوابط الوبائية بحيث إن عدد الإصابات يزيد على المتوقع والعادي.

2. مفهوم الجائحة والطاعون:

[1] ابن منظور لسان العرب, ابن فارس مقاييس اللغة, الزبيدي تاج العروس من جواهر القاموس, مادة: و ب أ

[2] الوباء aljazeera.net/encyclopedia/health medicine/2014/8/10/

أ_ **مفهوم الجائحة:**

الجائحة لغة: مادة الكلمة الجيم والواو والحاء, وهي أصل واحد، قال ابن فارس في دلالته: هو الاستئصال يقال جاح الشئ يجوحه استأصله, ومنه اشتقاق الجائحة [3]

وفي لسان العرب: الجائحة " المصيبة تحل بالرجل في ماله فيجتاحه كله"[4]

وعليه فالجائحة بمفهومها اللغوي عند الإطلاق تنصرف دلالتها إلى المصائب التي تصيب المال وهذا ما درج على استعماله المتقدمون من اللغويين, لكن يمكن تعديه هذا المدلول من خلال مفهوم المصيبة, إذ المصائب تتنوع متعلقاتها فمنها المال وغيره كالأبدان.

الجائحة اصطلاحا: بناء على الظرفية الراهنة من اقتران الجائحة بوباء كورونا فإنه عند وصف وباء ما بالجائحة فإن ذلك يعني أن الحالة الوبائية في مرحلة متقدمة جدا أن أن الوباء انتشر وأصبح غير متحكم فيه[5]، ووصول الوباء إلى هذه الدرجة يعني أنه وصل إلى المرحلة السادسة من مراحل انتقال الفيروسات, وهذه المرحلة تتصف بكون الوباء قد اجتاح أقاليم أو قارات مختلفة. والانتشار بشكل أسرع بين الدول والمناطق بسبب انتقال الفيروس مع الإنسان[6].

2_ **تعريفالطاعون:**

الطاعون لغة: قال ابن فارس : "الطاء والعين والنون أصل صحيح مطرد وهو النخس في

---

[3] ابن فارس مقاييس اللغة مادة ج و ح.

[4] ابن منظور لسان العرب مادة ج و ح.

[5] ينظر تصريح المدير العام لمنظمة الصحة العالمية تيدروس أدهانوم غيبريسوس, بتاريخ 11 مارس 2020.

[6] Youtub.com/watch ?v=9mtozfr9us8

Sfda gov sa /ar/midicaldevrices/regulations/documents/epidemicpandemic pdf

الشئ بما ينفذه, ثم يحمل عليه ويستعار "[7]، وقال ابن منظور: " الطاعون داء معروف، والجمع الطواعين، وطعن الرجل والبعير فهو مطعون وطعين أصابه الطاعون... والطاعون الطعن القتل بالرماح والطاعون المرض العام"[8].إذن فالطاعون في معاجم اللغة فساد يصيب الجانب البدني أو النفسي.

الطاعوناصطلاحا: الطاعون في الاصطلاح الفقهي: " قروح تخرج في الجسد فتكون في الإباط أو المرافق أو الأيدي أو الأصابع وسائر البدن, ويكون معه ورم وألم شديد, وتخرج تلك القروح مع لهيب، ويسود ماحواليه أو يخضر أو يحمر حمرة بنفسجية كدرة، ويحصل معه خفقان القلب والتقيؤ"[9]

انطلاقا مما تقدم فتعريف الطاعون عند الفقهاء ينصرف إلى فساد في البدن الذي تصاحبه مجموعة من الآثار التي تسبب القروح والألم.

وعرفه بعض المعاصرين بأنه " مرض معد يصيب الإنسان والحيوان وتسببه جرثومة yersimia pestis

وهذه الجرثومة توجد في الحيوانات القارضة أو البراغيث الموجودة عليها"[10].

[7]ابن فارس معجم مقاييس اللغة مادة ط ع ن .

[8]ابن منظور لسان العرب مادة ط ع ن.

[9]أبو زكريا يحي بن شرف النووي, شرح صحيح مسلم 204/14

[10]ينظر: أبو الحب، الحشرات الناقلة للأمراض ص 63/ المرسلي والشاذلي، أساسيات علم الحشرات ص 455، قسم رعاية المصابين بالعوامل الكيميائية ص 35، موقع إدارة الصحة العامة بولاية مشيغان www.michigan.gov/documentplague

3. الفرق بين الوباء والجائحة والطاعون.

انطلاقا من التعاريف السابقة فإن الحديث عن الفرق بين هذه المصطلحات يستلزم بيان العلاقة بينها أولا, ذلك أن العلاقة التي تربطهم علاقة عموم وخصوص؛ إذ الطاعون أخص من الوباء، وهذا الأخير أخص من الجائحة؛ فبعد التسليم بأن هذه المصطلحات مدلولاتها متحدة في الفساد الذي يصيب الأبدان بشكل من الأشكال فإن الفرق بينها كالآتي:

- **الفرق بين الطاعون والوباء:**يعتبر كل طاعون وباءا وليس كل وباء طاعونا[11]، حيث يعتبر الطاعون نوعا من أنواع الأوبئة، كما أن درجة الانتشار والفشو تكون أقوى في الوباء منه في الطاعون .
- **الفرق بين الوباء والجائحة:** يتجسد الفرق بينهما في رقعة الانتشار وشدة الفتك, فكلما انتشر أكثر وكان أشد فتكا كلما وصف بالجائحة، حيث تصبح السيطرة عليه مستعصية، وكلما كان انتشار المرض محدودا وأقل فتكا كلما وصف بالوباء دون الجائحة.

ثانيا: الأوبئة في العالم الإسلامي مقاربة تاريخية وصفية؛

1_ طاعون عمواس 18هـ_639م؛

أول طاعون وقع في الاسلام وذلك إبان خلافة عمر بن الخطاب, ويطلق عليه طاعون عمواس[12]، وكان قد بدأ في هذه القرية وانتشر في الشام، تسبب هذا الطاعون في وفاة خمسة وعشرين ألف شخص. منهم بعض كبار الصحابة رضوان الله عليهم كأبي عبيدة،

[11] المصدر السابق ن ج /ص.

[12] رواه الزمخشري بكسر أوله وسكون الثاني ورواه غيره بفتح أوله وثانيه وآخره سين مهملة وهي كورة من فلسطين بالقرب من بيت المقدس. ينظر معجم البلدان لياقوت الحموي 157/4.

ومعاذ بن جبل, وسهيل بن عمرو وغيرهم ﷺ.[13]

2_طاعون الجارف889/9م.

وقع هذا الطاعون بالبصرة إبان حكم عبد الله بن الزبير ﷺ للحجاز وما جاورها, وعبد الله بن مروان بالشام، وقد كان لهذا الطاعون نصيب من اسمه نظرا لعدد الأنفس التي أسلمت إلى بارئها، فقد كان جارفا لها كالسيل، حيث توفي فيه حوالي مائتين وعشر آلاف شخص, يروى أنه توفي في كل يوم فيه نحو سبعين ألفا, واستمر ثلاثة أيام كما ذكر الذهبي في تاريخه[14].

3_ طاعون الفتيات أو الأشراف 87هـ/705م.

وقع هذا الطاعون في العراق والشام، وسمي أيضا بالطاعون الجارف لأنه ما هو إلا عودة لطاعون البصرة السابق الواقع سنة 96 هـ , وسمي بطاعون الفتيات؛ لأنه بدأ بالنساء والعذارى منهم، وسمي أيضا بطاعون الأشراف لكثرة من توفي به من عليه الناس وأشرافهم, وقع هذا الطاعون زمن الوليد بن عبد الملك [15]

4_ طاعون مسلم بن قتيبة 131هـ/ 748م.

---

[13]ابن عبد البر التمهيد لما في الموطأ في المعاني والاسانيد 277/2. تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي و مُحَمَّد عبد الكبير البكري مؤسسة قرطبة. طبعة 1387م/ النووي شرح صحيح مسلم 10/1.

[14]شمس الدين الذهبي, تاريخ الإسلامي ووفيات المشاهير والاعلام5/ 66 تحقيق عمر بن عبد السلام تدمري دار الكتاب العربي ببيروت الطبعة الأولى 1987/1407. نصير بهجت فاضل, الطواعين في صدر الإسلام والخلافة الأموية " دراسة في المصادر الإسلامية والعربية" مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية ص5 العدد الثاني المجلد السادس السنة السادسة 2011.

[15]أبو القاسم عبد الرحمان بن منذه الأصبهاني,المستخرج من كتب الناس للتذكرة والمستطرف من أحوال الرجال للمعرفة 120/3, تحقيق عامر حسن صبري التميمي وزارة العدل والشؤون الإسلامية بالبحرين, إدارة الشؤون الدينية, ابن حجر العسقلاني, بذل الماعون في فضل الطاعون ص 3 6 3.

وقع هذا الطاعون بالبصرة، مكث بين الناس لمدة ثلاثة أشهر، وكان شديدا في رمضان، أما بخصوص عدد الوفيات فكان يصل في بعض الأحيان ألف وفاة وما يزيد في اليوم, وهوآخر طاعون في الخلافة الأموية ويقال له أيضا طاعون أسلم بن قتيبة وقيل سلمة بن قتيبة[16]

هذه بعض الأوبئة التي شهدها العالم الإسلامي في الصدر الأول وزمن الخلافة الأموية :

طاعون بغداد زمن العباسيين 5هـ والذي وقع بعد دخول المغول إليها .[17]

وهناك طواعين شهدها العصر المملوكي والأيوبي, وبلاد الغرب الإسلامي خاصة المرابطين والمرينيين أحجمت عن ذكرها خشية الإطالة .

المحور الثاني: المقاربة الإسلامية في التعامل مع الأوبئة.

إن مقاصد الشريعة الإسلامية جعلت الحفاظ على الأنفس من الكليات الشرعية التي جاءت تشريعاتها للحفاظ عليها, وقد شرعت هذه الأحكام لصون كلي للنفس سواء حال العافية أو المرض.

أولا: المقاربة الإسلامية في التعامل مع الأوبئة،

سأتحدث في هذه المقاربة عن نقاط أهمها:

- ✓ الفرار من الوباء
- ✓ إقرار الحجر الصحي
- ✓ العزل الصحي
- ✓ الدعوة إلى النظافة
- ✓ المقاربة النفسية

[16] أبو مُحَمَّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري, المعارف ص75 ، حققه وقدم له ثروت عكاشة دار المعارف الطبعة الرابعة .د.ت.ابن حجر العسقلاني بذل الماعون في فصل الماعون ص 357.

[17] ينظر أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي, البداية والنهاية 13/ 23, تحقيق علي شيري , دار إحياء الثراث العربي , الطبعة الأولى 1408هـ / 1988م .

وقد جعلت النقطة الثانية منفصلة عن الثالثة على اعتبار أن الحجر الصحي يشمل المرضى أصالة والأصحاء تبعا، أما العزل الصحي فموجة للمصابين فقط.

أولا: الفرار من الوباء:

إن مسألة الفرار سواء الفردي أو الجماعي إجراء وقائي حث عليه الإسلام وأمر به الأصحاء من الناس حصرا لانتشار الوباء، فقد ورد في الحديث النبوي الشريف عن أبي هريرة ﷺ قال، قال رسول الله ﷺ "..... فر من المجذوم كما تفر من الأسد "[18]، إذن ففي هذا الحديث أمر واضح من النبي ﷺ بوجوب فرار الصحيح من المصاب حفاظا غلى سلامته الصحية, وقد تحدث العلماء عن مختلف هذا الحديث لكن المتفق عليه هو أن هذا الفرار من باب الأخذ بالأسباب.

ثانيا: إقرار الحجر الصحي:

إن من أهم الإجراءات الوقائية التي كان الإسلام سباقا إليها الحجر الصحي؛ فقد شرعه النبي ﷺ زمن حياته، وطبق في خلافة الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ، وبسبب هذا الحجر الصحي جنبت البلاد الإسلامية خسائر كبيرة على مر الأزمان بحسب إعماله من عدمه. يؤصل لهذا الإجراء الحديث الوارد في الطاعون زمن عمر ﷺ , ففي حديث عبد الله بن عباس ﷺ أن عمر بن الخطاب ﷺ خرج إلى الشام حتى إذا كان بسرغ لقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه، فأخبروه أن الوباء قد وقع بأرض الشام، قال ابن عباس: فقال عمر ادع لي المهاجرين الأولين؛ فدعاهم فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام، فاختلفوا، فقال بعضهم: قد خرجت لأمر ولا نرى أن ترجع عنه، وقال بعضهم معك بقية الناس وأصحاب رسول الله ﷺ ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء، فقال ارتفعوا عني، ثم قال ادعوا لي الأنصار فدعوتهم فاستشارهم، فسلكوا سبيل المهاجرين

[18] أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عه كتاب الطب باب الجذام . رقم الحديث 5707, وهو جزء من حديث " لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر، وفر من المجدوم فرارك من الأسد دار ابن كثير دمشق بيروث, الطبعة الاولى , 1423ه/ 2002م.

واختلفوا كاختلافهم، فقال ارتفعوا عني، ثم قال: ادع لي من كان ها هنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح، فدعوتهم فلم يختلف منهم عليه رجلان، فقالوا نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء، فنادى عمر في الناس إني مصبح على ظهر فأصبحوا عليه، قال أبو عبيدة بن الجراح أفرارا من قدر الله، فقال عمر لو غيرك قالها يا أبا عبيدة، نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت لو كان لك إبل هبطت واديا له عدوتان إحداهما خصبة والأخرى جدبة أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟ قال فجاء عبد الرحمن بن عوف وكان متغيبا في بعض حاجته فقال: إن عندي في هذا علما، سمعت رسول الله ﷺ يقول إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه قال فحمد الله عمر ثم انصرف [19]

انطلاقا من هذا الحديث يمكن أن نسجل مجموعات من الفوائد التي أعملها أهل الصدر الأول في التعامل مع الأوبئة أذكر منها :

- إعمال مبدإ الاستشارة في اتخاد القرار السديد, هذه الاستشارة رغم بساطتها في هذا الزمن على اعتبار محدودية العلم بالأمراض والأوبئة إلا أنها تشكل لنا دروسا وعبرا في ضرورة إشراك كل الفاعلين في التعامل مع الأوبئة والأمراض، وفي مقدمة الجهاز الصحي من أطباء وممرضين ومراكز أبحاث وعلماء الفيروسات وغيرهم, ناهيك عن أهل الحل والعقد ومختلف الهيئات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ...
- الحجر الصحي إجراء يجنب الأفراد والجماعات سرعة انتشار الأوبئة، ويحد من وثيرة انتقال العدوى والفيروسات
- المقاربة الصحية حفاظا على الأرواح مقدمة على غيرها من الاعتبارات عند التعارض، فعلى الرغم من أهمية زيارة أمير المؤمنين للشام، وما سينتج عنها من

[19] صحيح البخاري كتاب الطب باب ما يذكر في الطاعون من حديث عبد الله بن عباس رقم الحديث 5728.

فوائد على الصعيد السياسي والنفسي والاقتصادي إلا أن المقدم في ذلك المحافظة على الأنفس التي بها يحافظ على ما سواها؛ لأن المكلف محور إقامة العبودية بمعناها العام .

ثالثا: العزل الصحي؛

إنالنقطة الأولى التي أشرنا إليها من خلال الفرار الفردي والجماعي من الوباء كان الخطاب فيها للأصحاء وعلاقته بالمصابين، أما في هذه فنتحدث فيها عن المصابين وعلاقتهم بالأصحاء, فقد ورد في الحديث النبوي الشريف، قال رسول الله ﷺ " لا يوردن ممرض على مصح "[20]، ففي هذا الحديث دعوة للمصابين بتجنب أماكن الأصحاء حتى لاينشروا الوباء، وهذا فيه نوع من العزل الصحي.

[20] صحيح البخاري , كتاب الطب , باب لاهامة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه رقم الحديث 5771.

رابعا: الدعوة إلى النظافة؛

يندرج ضمن دعوة الإسلام إلى النظافة مجموعة من التشريعات التي اعتبر بعضها تعبديا أصالة والآخر تبعا، وهذه التشريعات تدخل بدلالة العموم التي تضمنتها نصوصها التشريعية حفاظا على صحة المؤمن ومنعا للأمراض، بالإضافة إلى علل أخرى ليس محل بسطها هنا؛ ومن جملة ذلك:

الترغيب في الطهارة والنظافة في العبادات والعادات؛

- ✓ اعتبر الإسلام الطهارة شرط صحة العبادة، فلا صلاة دون وضوء، فقد جاء في الحديث قول النبي ﷺ: " لاتقبل صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ"[21]، وبما أن الإسلام فرض خمس صلوات في اليوم، ناهيك عن ترغيبه في النوافل، فإن النظافة عن طريق الوضوء تستلزم التجديد على مدار اليوم، قال تعالى: " يا أَيُّها الَّذين آمَنُوا إِذَا قُمتم إِلَى الصَّلَاة فَاغْسلُوا وُجوهكُم وَأَيْديكُم إِلَى الْمرافق وامسحوا برءُوسكُم وَأَرجلَكُم إِلَى الْكَعبينَ وَإِن كُنتم جنبا فَاطَّهَّروا"[22]، وقد بَيَن سبحانه وَتعالَى الغاية من هذا التشريع، فَليسَ المقصود به وضع المكلف في العنت والحرج، بل من الغايات تطهيره طهارة مادية ومعنوية، وفي هذا وقاية من انتشار الأمراض وعدواها، قال تعالى: "مايريد الله ليجعل عليكم من حرج، ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون"[23]، ومما ينبغي التنويه به هنا هو أن الأمر سواء بالإلزام أو الترغيب لايقتصر على العبادات فقط، بل يتعدى ذلك إلى العادات أيضا ومن ذلك:

[21] صحيح مسلم كتاب الطهارة باب وجوب الطهارة للصلاة رقم الحديث 225 من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

[22] سورة المائدة من الآية 6

[23] سورة المائدة من الآية 6.

- ✓ قوله ﷺ " إذا أخذت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة"[24].
- ✓ قول عائشة رضي الله عنها: "كان النبي ﷺ إذا كان جنبا فأراد أن يأكل أو ينام توضأ وضوءه للصلاة"[25].

كل هذه التشريعات وغيرها لها الأثر البارز في الوقاية من العدوى؛ لأن الأساس الذي تبنى عليه حماية الأفراد والجماعات أولا هو الالتزام بقواعد النظافة.

خامسا: النهي عن بعض التصرفات أثناء الأكل والشرب المفضية إلى انتقال العدوى؛

ورد في التشريع الإسلامي مجموعة من المحاذير التي نهى حفاظا على محاسن الأخلاق ومنعا لبعض الآثار السلبية لها على الإنسان ومنها صحته؛ أذكر من ذلك تمثيلا لاحصرا:

- **النهي عن التنفس في الإناء؛**

قال رسول الله ﷺ: "إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء"[26]، إن من العلل التي نهي بسببها عن التنفس في الإناء أثناء الشرب والتي لها علاقة بانتقال العدوى الاحتراز من خروج شيء من جوف الشارب من أنفه أو فمه كالرذاذ والذي يكون حاملا للفيروس.

- **تشريع آداب العطاس؛**

جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى عليه وسلم: "إذا عطس

24 صحيح مسلم كتاب الذكر والتوبة والاستغفار باب مايقول عند النوم وأخذ المضجع رقم الحديث 2710، من حديث البراء بن عازب.

25صحيح مسلم كتاب الحيض، باب جواز نوم الجنب واستحباب الوضء له وغسل الفرج إذا أراد أن يأكل أو يشرب أو ينام أو يجامع رقم الحديث 305

26 صحيح البخاري كتاب الأشربة باب النهي عن التنفس في الإناء رقم الحديث 5630، من حديث أبي قتادة عن أبيه.

وضع يده أو ثوبه على فيه وخفض أو غض بها صوته"[27]، فهذا التشريع الرباني من أهم الاجراءات الاحترازية التي حثت عليها القوانين خلال زمن وباء كورونا من خلال استعمال الكمامات، ولعل العلة واضحة في تغطية الوجه من خلال منع تطاير رذاذ العاطس، وبالتالي تتطاير معه المكروبات والفيروسات الناقلة للعدوى. وفي رواية أخرى للترمذي من حديث أبي هريرة أيضا ﷺ أن رسول الله ﷺ كان إذا عطس غطى وجهه بيده أو بثوبه وغض بها صوته.28 قال ابن رسلان:"والوجه أعم من الفم، فإذا غطى وجهه يغطي فاه، ولعل السبب في ذلك تغير هيئه الرجل عند العطاس، وربما خرج منه بزاق يتناثر من فمه ".29

سادسا: المقاربة النفسية:

إن المقاربة النفسية زمن الأوبئة كانت الشريعة الإسلامية سباقة إليها، ونظرا لما يعيشه الناس من اضطراب نفسي سببه الخوف من الموت,بالإضافةإلى ما قد يؤدي إليه الحجر الصحي زمن الوباء من اختلال في التوازن النفسي للفرد والجماعة؛ فإن المقاربة النفسية لها دور بارز في التصدي للأوبئة والجوائح الصحية. وقد نهج الإسلام مقاربة نفسيةمبنية على الوازع الديني حيث خاطبت نصوصه قلب المسلم وإيمانه.

يمكن الحديثعن المقاربةالنفسية من جانبين:الأولمقاربةنفسيةترغيبية، والثانية مقاربةنفسيةترهيبية.

- **المقاربة النفسية الترغيبية زمن الأوبئة:**

27سنن أبي داود كتاب الأدب باب في العطاس رقم الحديث 5029/ مسند الإمام أحمد، مسند أبي هريرة رقم الحديث 9662

28 رواه الترمذي كتاب الآداب . باب ما حاد في خفض الصوت وتخمير الوجه عند العطاس .رقم الحديث 2745.

29 شرح سنن أبي داوود لأبي العباس شهاب الدين بن رسلان المقدسي217/19

إن العلة الغائية التي تدفع الإنسان المؤمن للعمل تتركز في باب الثواب بدرجة أولى، إذ الإنسان بطبعه ميال طامع للاستفاءة من كل شئ. وقد خاطبت نصوص التشريع الإسلامي المؤمن ترغيبا له في الأجر زمن الأوبئة، وأذكر من هذه النصوص:

- ✓ حديث أنس بن مالك عندما سأل حفصة بنت سيرينبم مات يحي بن أبي عمرة؟ قالت: قلتبالطاعون، قالت: فقال: قال رسول الله ﷺ: الطاعون شهادة لكل مسلم30.
- ✓ حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن الطاعون فأخبرني رسول الله ﷺ أنه كان عذابا يبعثه الله على من يشاء، فجاء رحمة للمؤمنين, فليس من رجل يقع الطاعون فيمكث في بيته صابرا محتسبا يعلم أنه لا يصيبه إلا ماكتب الله له إلا كان له مثل أجر الشهيد " 31.

انطلاقا من هذا الحديث الموجه لكل مؤمن محتسب التزم قواعد الحجر الصحي بصبر؛ فالنبي ﷺ بشره بأجر الشهيد الذي يطلق أصالة على من مات مجاهدا في سبيل الله.وقد جاء في حديث المقدام بن معد بن يكرب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له في أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويحل حله الإيمان, ويزوج من حور العين, ويشفع في سبعين إنسانا من أقربائه"32

وقد لعب هذا التوجيه النبوي دورا بارزا في التزام الصحابة رضوان الله عليه بقواعد الحجر الصحي زمن الطاعون إيمانا واحتسابا وصبرا؛ يشهد لهذا ما وقع بين عمر

30 صحيح مسلم كتاب الأمارة باب بيان الشهداء رقم الحديث 1916.

31 مسند أحمد مسند عائشة رضي الله عنها رقم الحديث 26139/ السنن الكبرى للنسائي كتاب الطب باب ثواب الصابر في الطاعونرقم الحديث 7485.

32 سنن ابن ماجه كتاب الجهاد باب فضل الشهادة في سبيل الله رقم الحديث 2799.

بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهما, عام عمواس "....لما اشتعل الوجع وبلغ ذلك عمر كتب إلى أبي عبيدة ليستخرجه منه:أن سلام عليك؛أما بعد: فإنه قد عرضت لي إليك حاجةأريد أن أشافهك بها، فعزمت عليك إذا نظرت في كتابي هذا ألا تضعه من يدك حتى تقبل إلي قال: فعرف أبو عبيدةأنه يستخرجه من الوباء، فقال يغفر الله لأمير المؤمنين، ثم كتبإليه: يا أمير المؤمنين،إني قد عرفت حاجتك إلي، وإني فيجند من المسلمين لا أجد بنفسي رغبة عنهم، فلست أريد فراقهم حتى يقضي الله في وفيهم أمرهوقضاءه؛ فخلني من عزمتك يا أمير المؤمنين، ودعني في جندي، فلما قرأ عمر الكتاب بكى، فقال الناس: يا أمير المؤمنين أمات أبو عبيدة؟ قال: لا وكأن قد...33

بالنظر في هذه الواقعةوأثر المقاربة النفسيةفي سلوك الأفراد، يبرز لنا تأثر نفسية المؤمن بهذا الفضل عند الاحتساب والصبر، ففيمشهد حديث طاعون عمواس أنه"... لما اشتعل الوجع قام أبو عبيدة ابن الجراح في الناس خطيبا فقال :أيها الناس إن هذا الوجع رحمة ربكم، ودعوة نبيكم، وموت الصالحين قبلكم، وإن أبا عبيدة يسأل الله أن يقسم له منه حظه، قال:فطعن فمات رحمه الله، واستخلف على الناس معاذ بن جبل فقال:أيها الناس إن هذا الوجع رحمة ربكم، ودعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم، وإن معاذا يسأل الله أن يقسم لآل معاذ منه حظه، قال قطعن ابنه عبد الرحمن بن معاذ فمات، ثم قام فدعا ربه لنفسه فطعن في راحته، فلقد رأيته ينظر إليها ثم يقبل ظهر كفه ثم يقول: ما أحب إلي أن لي بما فيك شيئا من الدنيا".34

انطلاقا من هذا الحديث يظهر جليا أمر الاحتساب في المقاربةالنفسية للتعامل مع

33 ابن كثير البداية والنهاية 91/7.

34مسند الأمام أحمد مسند العشرة المبشرين بالجنة.حديث أبي عبيدة بن الجراح رقم الحديث 1697.

المرض كالطاعون وصاحبه صابر مؤمن ببشارة الله تعالى له، لا مجال لمقارنته مع المرض والخوف،مما يشكل فراغا روحيا ينذر باستفحال الوباء وانهيار معنويات المصابين ومحيطهم.

- **المقاربة النفسيةالترهيبية زمن الاوبئة؛**

إن الانضباط بقواعد الحجر الصحي وما يرتبط بها من سلوكات عند الضرورة كمراعاة التباعد الاجتماعي، وارتداء الكمامات؛ له ارتباط وثيق بالمقاربةالترهيبية عند كثير من الأفراد والجماعات زمن الاوبئة، وكمثال على ذلك الالتزام بقواعد الحجر الصحي سواء المنزلي منه أو في إطار جغرافيةمحددة؛ فالتشريع الإسلامي نهج بموازاة الترغيب منهج التخويف والترهيب من عذاب الله لمن خرج عن قواعد الحجر الصحي زمن الأوبئة، واعتبر ذلك كبيرة من الكبائر التي تمس الأمن الجماعي وتخرموحدةالأمة الصحية، ففي حديث جابر بن عبد الله رضي الله وهو يتحدث عن الطاعون قال، سمعت رسول الله ﷺ يقول:" الفار منه كالفار يوم الزحف".35 ففي هذا الحديث ترهيب من خرق قواعد الحجر الصحي عن طريق الخروج عن منطقة الوباء، والملفت للنظر التهويل في الوعيد الذي جعله النبي صلى الله عليه وسلم للخارق لهذا الحجر الصحي,حيث لم يصنف صاحبه عاصيا عاديا بارتكابه لصغيرة من الذنوب, بل جعله في مرتبة مرتكب كبيرة تولي يوم الزحف ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: اجتنبواالسبع الموبقات: قالوا يا رسول الله وما هن: قال :الشرك بالله، والسحر, وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف, وقذف المحصنات المؤمنات

35 مسند الإمام أحمد مسند جابر بن عبد الله. 14793. الطبراني في المعجم الأوسط رقم الحديث 3193.

الغافلات."36وعليه فالمؤمن يشكل لديه خط الكبائر دائرة يصعب الدخول فيها خوفا من ضياع حياته الأخروية؛ وبالتالي يشكل هذا أمرا ضابطا لقواعد الالتزام بالحجر الصحي في الإسلام زمن الأوبئة.93

36 صحيح البخاري كتاب الوصايا, باب قوله تعالى: " إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا". سورة الشورى الأية 10.

أهم الخلاصات والنتائج

انطلاقا مما تقدم يمكن تلخيص المقاربة الإسلامية في التعامل مع الأوبئة في النقاط الآتية :

- ✓ التشريع الإسلامي من أوئل التشريعات إن لم نقل كان السباق في ذلك،والتي وضعت إجراءات عملية في التعامل مع الأوبئة المجتاحة للمجتمعات والمخلفة الكوارث على مستوى الأرواح والاقتصادات.
- ✓ التشريع الإسلامي من أوائل التشريعات التي أقرت بالعزل الصحي من خلال عدم مخالطة المريض للصحيح مخافة انتشار العدوى بين صفوف الأصحاء .
- ✓ التشريع الإسلامي جعل النظافة شرطا لصحة العبادة التي هي غاية التكليف، وقد اتخذت هذه الطهارة صورا متعددة من وضوء وغسل ونظافة مكان وثوب، كل هذا ساهم بدلالة عمومه كإجراء احترازي في الوقاية من الأمراض المعدية، والعجيب في الأمر أن طلب الشريعة الإسلامية فعل النظافة عن طريق الطهارة تضمن العبادات كالصلاة والطواف، والعادات كالنوم وبعد الجماع.
- ✓ الوازع الديني يعتبر من أهم أسس المقاربة النفسية في التعامل مع الأوبئة، وقد أخذ ذلك صورتين: الأولى ترغيبية، والثانية ترهيبية، حيث بين التشريع الإسلامي فضل الصابر المحتسب زمن الوباء وجعل له منزلة الشهيد ثوابا، كما بين عقاب المستهتر غير المنضبط بالقواعد الصحية من خلال عدم الالتزام بالحجر الصحي وجعله أيضا في مرتبة الفار من الزحف الذي يعتبر كبيرة من الكبائر.
- ✓ الجانب الترهيبي له دور بارز في فرض القوانين المقترحة للتعامل زمن الأوبئة كالتباعد الاجتماعي وارتداء الكمامات، ولهذا يشكل الترهيب الحاجز الثاني إن لم ينفع الترغيب، خاصة إذا غاب الوعي الإنساني لدى الناس.
- ✓ حديث عمر بن الخطاب المتعلق بطاعون عمواس فيه مجموعة من الفوائد نحتاجها زمن الأوبئة:
  - إعمال مبدإ الاستشارة في اتخاذ القرار السديد, هذه الاستشارة رغم

بساطتها في هذا الزمن على اعتبار محدودية العلم بالأمراض والأوبئة إلا أنها تشكل لنا دروسا وعبرا في ضرورة إشراك كل الفاعلين في التعامل مع الأوبئة والأمراض، وفي مقدمة الجهاز الصحي من أطباء وممرضين ومراكز أبحاث وعلماء الفيروسات وغيرهم, ناهيك عن أهل الحل والعقد ومختلف الهيئات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ...

- الحجر الصحي إجراء يجنب الأفراد والجماعات سرعة انتشار الأوبئة، ويحد من وثيرة انتقال العدوى والفيروسات
- المقاربة الصحية حفاظا على الأرواح مقدمة على غيرها من الاعتبارات عند التعارض، فعلى الرغم من أهمية زيارة أمير المؤمنين للشام، وما سينتج عنها من فوائد على الصعيد السياسي والنفسي والاقتصادي إلا أن المقدم في ذلك المحافظةَ على الأنفس التي بها يحافظ على ما سواها؛ لأن المكلف محور إقامة العبودية بمعناها العام .

المصادروالمراجع

1_ ابن عبد البر؛ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانية تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي ومُحَمَّد عبد الكبير البكري مؤسسة قرطبة طبعة 1387/ 197م.

2_ أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا تحقيق عبد السلام مُحَمَّد هارون، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر 1399هـ/ 1979م.

3_ أبو الحسين بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري؛ صحيح مسلم تحقيق أبي قتيبة نظر بن الفاريابي دار طيبة الطبعة الأولى 1427هـ/ 2006 م.

4_ أبو العباس شهاب الدين أحمد بن حسين بن علي بن رسلان المقدسي الرملي الشافعي؛ شرح سنن أبي داود تحقيق عدد من الباحثين بإشراف خالد الرباط، دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث الطبعة الأولى 1437 هـ/ 2016 م.

5_ أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي, البداية والنهاية, تحقيق علي شيري, دار إحياء الثراث العربي الطبعة الأولى 1408هـ/1988م.

6_ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني؛ المعجم الوسيط، تحقيق طارق بن عوض الله بن مُحَمَّد عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين بالقاهرة، جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولى 1415 هـ/ 1995 م.

7_ أبو القاسمعبد الرحمن بن مُحَمَّد بن إسحاق، ابن مندة العبدي الأصبهاني،المستخرج من كتب الناس والمستطرف من أحوال الرجال للمعرفة, تحقيق عامر حسن صبري التميمي وزارة العدل والشؤون الإسلامية بالبحرين إدارة الشون الدينية د.ت .

8_ أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بن بشير الأزدي السجستان؛ السنن، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية الطبعة الأولى 1430 هـ/ 2009 م.

9_ أبو زكرياء يحي بن شرف النووي؛ شرح صحيح مسلم دار إحياء العربي ببيروت, الطبعة الثانية 1392/ 1972.

10_ أبو عبد الرحمان أحمد بن علي بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار النسائي؛ السنن الكبرى، تحقيق حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1421 هـ/ 2001 م.

12_ أبو عبد الله أحمد بن حنبل بن مُحَمَّد الشيباني الوائلي؛ المسند تحقيق شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد ومُحَمَّد نعيم العرقسوسي وإبراهيم الزيبي ومُحَمَّد رضوان العرقسوسي وكامل الخراط، مؤسسة الرسالة د.ت.

13_ أبو عبد الله مُحَمَّد بن اسماعيل البخاري الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه دار ابن كثير, دمشق _ بيروت الطبعة الأولى 1423هـ/ 2002م.

14_ أبو عبد الله مُحَمَّد بن يزيد بن ماجة القزويني؛ السنن، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد، ومُحَمَّد كامل قروبللي وعبد اللطيف حرز الله، مؤسسة الرسالة د. ت.

15_ أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان دار الفكر د. ت.

16_ أبو عيسى مُحَمَّد بن عيسى الترمذي السلمي السنن تحقيق أحمد مُحَمَّد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي ببيروت لبنان د. ت.

17_ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني بذل الماعون في فضل الطاعون تحقيق أحمد عصام عبد القادر الكاتب دار العاصمة الرياض د ت.

18_ شمس الدين الذهبي, بتاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام تحقيق عمر بن عبد السلام تدمري, دار الكتاب العربي ببروت الطبعة الاولى 1407/ 1987م

19_ محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، تاج العروس، طبعة الكويت د ت.

20_ مُحَمَّد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري؛لسان العرب– بيروت الطبعة: الثالثة – 1414 هـ

21_نصي بهجت فاضل؛ الطواعين في صدر الإسلام والخلافة الأموية (دراسة في المصادر الغربية والإسلامية) مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية, العدد الثاني المجلة السادسة السنة السادسة 2011م.

22_ aljazeera.net/encyclopedia/health 2014/8/10/ medicine/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-ShareAlike 4.0 International (CC BY-NC-SA 4.0)